

العذاب النفسي المصاحب للعذاب الجسدي في جهنم يوم القيامة

إعداد

م . م خولة علي نصار

الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية



ملخص البحث

لا شك أن آيات القرآن الكريم فيها من الإعجاز ما أهر الأدياء والبلغاء ، والمعنيون بالدراسات النفسية، وهذا البحث التحليلي لنصوص القرآن يدخل في نطاق الدراسات النفسية أسميته (العذاب النفسي المصاحب للعذاب الجسدي في جهنم يوم القيامة) تتبعت فيه بعض آيات العذاب وصوره ، وما لها من أثر على نفس القارئ.

• وقسمت هذا البحث إلى فصلين كل فصل ثلاثة مباحث:

الفصل الأول خصصته لتعريف العذاب النفسي والألفاظ الدالة عليه فكان على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في الذلّة والصغار الذي يصيب الكفار في النار بسبب تكبرهم وجبروتهم.

المبحث الثاني: في التهكم والتقريع والتوبيخ في حالة من الزجر لهم والتحقير.

المبحث الثالث: كان في الندامة وكانت صورتها: العض على الأيدي وندمهم لعدم الطاعة.

الفصل الثاني: فتحدثت فيه عن العذاب النفسي المتولد من العذاب الجسدي أو الحسي، وقسمته

إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ذكرت فيه بشاعة العذاب من خلال نضوج الجلود ونزع فروة الرأس ثم المكوث

والخلود في نار جهنم.

المبحث الثاني: فتكلمت فيه عن طعام وشراب أهل النار. وفيه مطلب الشراب ، ومطلب

الطعام.

المبحث الثالث: في ملابس أهل النار مفصلة على أجسادهم، وسراويلهم من قطران.

أما الخاتمة فبينت فيها أهم النتائج ، ثم أتبعها بقائمة المصادر والمراجع لهذا البحث.



Abstract

There is no doubt that the verses of the Koran in which the miracle of what wowed writers and rhetoricians, and concerned with the psychological studies, this analytical research for the texts of the Koran within the scope of psychological studies I called (the psychological suffering associated with physical torment in hell, the Day of Resurrection) traced where some verses of doom and manifestations, and their the same effect on the reader.

This research was divided into two chapters each chapter three sections:

The first chapter allocated to define the psychological torment of words and the function it was on three topics:

First topic: the humiliation and the young, which affects the infidels in the fire because Tkbarham and tyranny.

The second topic: the satire and rebuked in the case of restraining them and belittling.

The third section was remorse and had its image: biting the hands and remorse for disobedience.

Chapter II talked about the psychological torment generated from physical or sensory torment, and divided into three sections:

First topic: According to the ugliness of suffering through the maturation of leather and disarmament of the scalp and then stay and eternity in hell.

The second topic: Then spoke about the food and drink people of Hell. And the demand for the drink, and the demand for food.

The third topic: the people of Hell's clothing tailored to their bodies, and Srabilm tar.

The conclusion she stated the most important results, then followed it with a list of sources and references for this search..



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي كان القرآن له خلقاً ومنهجاً، وعلى آله وأصحابه ومن سار على منهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد ..

فالقرآن الكريم المعجزة الخالدة والوحي الناطق فلا تنقضي عجائبه، ولا تحف معانيه له سلطان على الأنفس وعلى الفطرة الإنسانية ، وسره الخاص في التأثير لمجرد تلاوته أو سماعه فهو يخاطب العقل والقلب والشعور. فقد تطرق القرآن الكريم إلى العذاب النفسي ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾^(١) ويتوقف ويكتفي ويقول ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ ﴾^(٢) ، فقد أخذت آية العذاب التفصيل فعجباً لآيات هذا الكتاب، فيها من الإعجاز ما أهر الأدياء والبلغاء والمعنون بالدراسة النفسية، فقد بدأت بمتابعة بعض آيات العذاب وصوره وما لها من أثر على نفس القارئ. وقسمت هذا البحث إلى فصلين كل فصل ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: في الذلّة والصغار الذي يصيب الكفار في النار بسبب تكبرهم وجبروتهم.

والمبحث الثاني: في التهكم والتقريع والتوبيخ في حالة من الزجر لهم والتحقير.

والمبحث الثالث: كان في الندامة وكانت صورتها: العض على الأيدي وندمهم لعدم الطاعة.

أما الفصل الثاني: فتحدثت فيه عن العذاب النفسي المتولد من العذاب الجسدي أو الحسي، وقسمته إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: ذكرت فيه بشاعة العذاب من خلال نضوج الجلود ونزع فروة الرأس ثم المكوث والخلود في نار جهنم. وأما المبحث الثاني: فتكلمت فيه عن طعام وشراب أهل النار وفيه مطلب الشراب ومطلب الطعام. والمبحث الثالث: في ملابس أهل النار مفصلة على أجسادهم، وسراويلهم من قطران ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) سورة القارعة الآية ٦ - ٧.

(٢) سورة القارعة الآية ٨ - ١٠ .



الفصل الأول العذاب النفسي

* العذاب لغةً:

هو العقوبة والنكال والهلاك، والعذاب اسم التعذيب وأصله في كلام العرب الضرب ثم استعمال كل عقوبة مؤلمة، واستعير للأمور الشاقة، فقليل: السفر قطعة من العذاب.^(١)

* أما اصطلاحاً:

فهو الشدة واليأس والضرب المؤلم والعقاب الشديد ويكون قولاً وفعلاً وحالاً.^(٢)
أما النفسي لغةً: فنسبة إلى النفس، والنفس من الالفاظ المشتركة التي معناها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، إذ تأتي لعدة معانٍ، منها النفس: الروح والجسد والدم والعقل والعين. قال أبو اسحاق: النفس في كلام العرب يجري على ضربين، أحدهما: قولك خرجت نفس فلان، أي روحه. والضرب الثاني على الذات: معنى النفس فيه جملة من الشيء وحقيقة، قتل فلان نفسه، أي: أوقع الالهالك بذاته كلها^(٣).

أما اصطلاحاً: عرفها الجرجاني^(٤) هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية. والعذاب النفسي: هو ألم يعصر النفس ويحطمها من داخلها فهو لا يقل شأنًا عن العذاب الجسدي، إن لم يكن أشد وأنكى، فالنفس تعيش بعذابها محطمة من داخلها. مظهرة العبوس من خارجها ويظهر ذلك من تصرفاتها).

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، ١/٧٧، المصباح المنير للفيومي، ٢/٣٩٨.

(٢) ينظر: مختار الصحاح للرازي، باب السين، ١/٣٢٦، ولسان العرب، ١٢/٢٠٨.

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة نفس، ٦/٢٣٣، ٢٣٦.

(٤) التعريفات: السيد الشريف الجرجاني، ص ٢٩٨.

المبحث الاول

* الذلة لغَةً: نقيض العزة والعلو. (١)

* واصطلاحاً: هي الصغار والمهانة والخسة وهي المشقة التي تؤدي إلى الانكسار، وتعطي معنى الضعف والانخفاض (٢).

فالله سبحانه وتعالى علق على سعادة الدارين بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والامن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة (٣).

المطلب الاول

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (٤)، تصور لنا هذه الآية مشهداً من مشاهد يوم القيامة، في نكوس الرؤوس، مشهد الخزي والاعتراف بالذنب، والاقرار بالحق الذي أنكروه وجحدوه. ويتوجه الخطاب إلى غير معين ليظهر حالهم، والمعنى: لو ترى أيها الرائي لرأيت أمراً فضيعاً (٥). والناس الذي يجعل أعلى الرأس أسفله، ناكسوا رؤوسهم من الندم والخزي والحزن والذل والغم عند محاسبة ربهم لهم، وذلك مما يلاقون مع التقريع والإهانة فهم يقولون ربنا أبصرنا معاصينا وسمعنا ما قيل لنا، فارددنا إلى الدنيا نعمل صالحاً، أيقنا ما كنا نجعل من وحدانيتك، (٦) فحالتهم في صورة مذهلة من الذل والغم.

(١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (ذلل)، ٢٥٦/١١.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، ٢٣٦/٢، تفسير الشعراوي ١/٣٦٧.

(٣) ينظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/٣٩ ومحاسن التأويل للقاسمي ٢/١١٣.

(٤) سورة السجدة، الآية ١٢

(٥) ينظر: الكشف، الزمخشري، ٣/٥١٠ وجامع الاحكام للقرطبي ١٤/٩٥.

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري ٢٠/١٧٦، معالم التنزيل للبخاري ٣/٥٩٦



المطلب الثاني

النظر من طرف خفي

العين تعبر بنظراتها عما بداخل صاحبها، ونظرات العيون لغة خاصة وأسلوب للتخاطب والتفاهم، قد يفوق التعبير بالكلام، فتحريك العين والإيحاءات التي تنظمها النظرات قد تحمل الكثير من الرموز وتنقل من داخل الشخص إلى العالم الخارجي مشاعر وتعبيرات لا يمكن الإفصاح عنها باستعمال العبارات والجمل،^(١) ففي قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾^(٢)، فخفاء الطرف يوحي حالة الذلة والندم، وتحمل عند الخوف، ويهز الذعر داخل النفس يقول الإمام القرطبي: (يعرضون على النار لأنها عذابهم، فكنى من العذاب المذكور بحرف التأنيث، لان ذلك العذاب هو النار فهم لا يرفعون أبصارهم للنظر رفعا تاماً، لأنهم ناكسوا الرؤوس، والعرب تصف الذليل بغض الطرف)^(٣)، وقال مجاهد: (من طرف خفي، أي: ذليل، وقال قتادة وسعيد بن جبير: يسارقون النظر من شدة الخوف)^(٤)، فنظرهم من طرف خفي يوحي بحالة نفسية ذليلة هؤلاء الكفار وهم ينتظرون مصيرهم المحتوم،^(٥) فهم في عذاب نفسي دائم فالنظر من طرف خفي يبدأ بتحريك ضعيف لأجفانهم بمسارعة النظر كما يرى في القتل ينظر إلى السيف وهكذا النظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملاً عينيه منها ولو كان الشيء الذي ينظر إليه محبباً إليه فإنه يملأ عينيه منه فالآية تبين حال الظالمين وهم يعرضون على النار خاشعين من الذل والهوان ولما يلاقونه من الأهوال عقاباً لهم، تراهم يسارقون النظر إلى النار خوفاً من مكارهها،^(٦) وهذه حالة من العذاب النفسي يشعر بها أهل النار نتيجة هذا الخوف الذي سيلحقهم.

(١) ينظر: الاشارات النفسية في القرآن الكريم، د. لطفي الشربيني، ٢٠٤ .

(٢) سورة الشورى، الآية ٤٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤٥/١٦ .

(٤) جامع البيان، للطبري، ٥٥٣/٢١ .

(٥) ينظر: الاشارات النفسية في القرآن الكريم، د. لطفي الشربيني، ٢٠٤ .

(٦) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣١٨٨/٥، معجم التعبيرات القرآنية محمد عتريس، ص ٥٢٥ .



المطلب الثالث

الأغلال في الاعناق وسحب السلاسل

منظر الذل والخزي والعار يلحق أهل النار وهم في أعناقهم الأغلال وبالسلاسل يسحبون، قوله تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ (٧١) في الحميم ثم في النار يُسْحَرُونَ ﴿٧٢﴾، الأغلال: يدل على تغلل الشيء، كالشيء يعزز من ذلك قول العرب: غللت الشيء، إذا اثبتته فيه، كأنه غرخته، (٧٢) والغل: الحقد، (٧٣) أما السلاسل: فمن السلسلة: اتصال الشيء بالشيء ومنه سلسلة الحديد ذات الدائرة المعروفة، (٧٤) وهي القيود تشد بها أرجلهم، وأما الأغلال فتشد بها أيديهم إلى رقابهم. (٧٥) تصوير الآية الأغلال في أعناقهم، بمعنى أعناقهم في الأغلال يصاحبها سجرهم وحرقتهم وإيقادهم في النار المحيطة بهم ويطرحون بها طرح الحطب الوقود للنار ثم يسحبون بالسلاسل في الحميم، والسحب: الجر وهو يجمع بين الإيلاء والإهانة. ويجرون إلى النار على وجوههم، (٧٦) كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ (٧٧).

والسحب: الجر، قرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم (والسلاسل يُسْحَبُونَ) (٨٨) بفتح اللام والياء، أي هم الكفار الذين يسحبون السلاسل في نار جهنم وفيه ما فيه من الإيلاء والشدة بمكان، قال ابن عباس إذا سحبوها كان أشد عليهم. والمراد هنا أنهم يعذبون ظاهراً بالأغلال والسلاسل والاحراق، وباطناً بمليء بطونهم ناراً، (٩٠) وهذا تعدد لأنواع العذاب، يشعرهم بالإهانة

(١) سورة غافر الآيتان ٧١، ٧٢

(٢) ينظر مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/٣٧٦.

(٣) ينظر المصباح المنير للفيومي ٢/٤٥١. المعجم الوسيط ٢/٦٦١.

(٤) ينظر الصحاح للجوهري، ٥/١٧٣٢. لسان العرب، لابن منظور، ٣/٢٠٦٤.

(٥) التفسير الكبير، للرازي ٣٠/٢١٢. التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/١٢٧.

(٦) الكشف للزخشري، ٤/١٨٣، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية، لنعمة الله النخجواني، ٢/٢٦٩.

(٧) سورة القمر الآية ٤٨

(٨) ينظر: معاني القرآن للنحاس، ٦/٢٣٣، إعراب القرآن، لابن سيده، وتحفة الأقران فيما قرئ بالتثليل من أحرف

القرآن، أبو جعفر الاندلسي، ١/١٥٦.

(٩) ينظر: التفسير الكبير للرازي، ٢٧/٥٣٢. ولطائف الاشارات، للششيري، ٣/٣١٦.



والتحقير ويضفي على النفس أسمى آلام العذاب فاجتماع القيد والضرب والسحب على الوجوه فيه مع ألم الجسد وتزايد ألم وعذاب نفسي بسبب الإهانة المترتبة. والأغلال سواء كانت من حديد أم من نار، فهي قيود تحمل في طياتها ظلاماً نفسياً وسهاماً من الألم وتوحي بالذلة والمهانة والانقياد يوم القيامة كما يقاد الاسير ذليلاً. وقوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ٤١ ﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ٥٠ ﴾^(١).

والصفاد: حبل يوثق به، قيل هي الأغلال وقيل: القيود،^(٢) قيل: معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد والقيود.^(٣) فالوقوف هنا جديد طارئ على أبصارهم وحواسهم فكل شيء قد تبدل فوحشة العذاب وقلقها النفسي.

المبحث الثاني التهكم والتقريع والتوبيخ

المطلب الاول : التهكم لغة : الاستهزاء أو شدة الغضب.^(٤)

واصطلاحاً: هو شدة الغضب والزجر في القول، وقد وردت آيات كثيرة توضح حالات التهكم، تهكم أهل الايمان بالكفار أو تهكم الملائكة بأهل النار أو خطاب رب العزة لهم ومن هذه الصور التي تبين تهكم العلم وتصاعد نبراتهم على أهل النار قوله تعالى ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْتَقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ٢٧ ﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّنَةَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٥) ويخزيهم: أي: يعذبهم بالعذاب قال الذين أوتوا العلم: ان الخزي

(١) سورة ابراهيم، ٤٩-٥٠ .

(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٤٥٧/٤ .

(٣) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ٤/٤٩٣، تفسير اللباب لابن عادل الدمشقي، ١/٣١٣٣ .

(٤) ينظر: جهرة اللغة، لابن دريد ٢/٩٨٤، ومختار الصحاح، للرازي مادة هكم ١/٣٢٧ .

(٥) سورة النحل الآية ٢٧-٢٨ .

والذل والهوان والسوء اليوم، والسوء هو العذاب على الكافرين كما ذكر كثير من المفسرين،^(١) وأما الذين تتوفاهم الملائكة بقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قالت لهم الملائكة على سبيل التهكم بلى إن الله مطلع على أفعالكم ويعلم ما كنتم تفعلون، ففائدة قول الملائكة لهم (لإظهار الشئمة بهم وزيادة الإهانة) وهي تولد حرجاً وضيقاً نفسياً. أما عن تهكم الله سبحانه بالكافرين، يشتد غضب الله بالكافرين من خلال قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (١٠٧) قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿^(٢)، تصور هذه الآية والتي قبلها شقاء وضيق أهل النار فهم يعترفون بظلالهم وبعدهم عن الهدى وليس اعتذاراً منهم إنما إقرار، لذلك طلبوا الرجعة إلى الدنيا، فهذا التهكم واشتداد الغضب عليهم يزيدهم عذاباً نفسياً وألماً، لأن الجواب على رجعتهم جاء متأخراً ألف سنة بقوله: ﴿ قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ أي ابعدوا في جهنم كما يقال للكلب اخساً أي: ابعده. ومن ذلك التهكم، جواب مالك خازن النار قال تعالى: ﴿ وَكَادُوا يَمَنُّكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴾ (٧٧) لَقَدْ جَحَنَّاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُِونَ ﴾ (٧٨) ﴿^(٣)، قال المفسرون: يدعون مالكا خازن النار فيقولون (ليقض علينا ربك) أي: يمتنا ليستريحوا من العذاب، فيسكت عن جوابهم مدة ألف سنة كما قال ابن عباس،^(٤) فهذا الكرب والغم وهذه الشدة وعدم إطاعة العذاب النفسي والجسدي ألقائهم إلى تمني الموت لعلهم يجدون راحتهم ولكن ولات حين مناص. وكذلك تهكم أهل الجنة بعدم حصولهم على النور بعد أن يطلبوه، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفَقِّهُونَ وَالْمُنْفِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (١٣) ﴿^(٥)، لأن النور بين أيدي المؤمنين والكفار محرومون منه وقيل ارجعوا تهكم وإهانة.^(٦)

والتذكير بها كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام أي: ارجعوا إلى ما كنتم تعملون ارجعوا

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ١٧/١٩٥ الكشف والبيان، للثعلبي ٦/١٤، الكشف للزمخشري ٢/٦٠٢ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠٧-١٠٨ .

(٣) سورة الزخرف، آية ٧٧-٧٨ .

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/٨٤، روح البيان ٨/٣٩٨ .

(٥) سورة الحديد الآية ١٣ .

(٦) ينظر انوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي ٥/٩٦ .



فالنور يلتمس هناك وقد فات أوانه ارجعوا فليس اليوم يلتمس النور، لعلهم لا يفهمون السخرية فيترجعوا أو فهموا وأحسوا الندامة والاسى،^(١) فأَي تهكم وعذاب نفسي يحدث لهم.

المطلب الثاني

التقريع

التقريع: هو التعنيف بكلام على وجه الزجر، أو هو الإيحاء باللوم الشديد^(٢).

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٤﴾، أي: قد صد الشيطان منكم خلقاً. قالها مجاهد: جِبِلًّا: خلقاً، أفلم تكونوا أي: المشركون تعلمون أن الشيطان عدوكم وعدو الله وفي نهاية الموقف العصيب يعلن الجزاء الاليم في التهكم وتقريع، هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله. وقيل: باب من أبواب النار، واصلوها أي: احترقوا بها اليوم يعني يوم القيامة^(٤). فالتقريع بهم عذاب نفسي. وكذلك في آيات سورة الزمر يقرع الملائكة الكفار اذا جاءوا وفتحت لهم أبواب جهنم بقولهم ألم يأتكم رسل من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم فيجيبوا بلى فتقول الملائكة ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها، فبئس مثواكم،^(٥) لسوء عملكم فيه تقريع وعذاب روحاني (نفسى).

(١) مشاهد القيامة في القرآن سيد قطب، ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) ينظر: الصحاح، للجوهري ٣/ ١٢٦٤، تاج العروس للزبيدي مادة (قرع) ١٢/ ٥٤٩.

(٣) سورة يس الآيات ٦٢-٦٤.

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري، ٢٠/ ٢٤٣، في ظلال القرآن للسيد قطب ٥/ ٢٩٧٢.

(٥) انوار التنزيل واسرار التأويل، للبيضاوي ٥/ ٤٩.



المطلب الثالث

التوبيخ

هو اللوم الشديد العنيف، ويأتي أيضا بمعنى التقرع بالذنب،^(١) ومن معانيه التهديد والتأنيب،^(٢) ففي قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣)، يتبين منظر عجيب ترى فيه وجوها مسودة ووجوها مبيضة، وهو مشهد حسي ولكنه منبعث عن تأثير نفسي ألقى ظله على هذه الوجوه فايضت وعلى تلك الوجوه فاسودت، وهذا زيادة في العذاب والنعيم وفي التحقير والتكريم، يقال لأهل النار توبيخاً وتقريعاً، أكفرتم يا سود الوجوه وعبيد الشهوات،^(٤) ويصحب العذاب الحسي ذلك التوبيخ النفسي فيلتقيان في الحس والنفس، فيكون العذاب مضاعفاً.^(٥)

المبحث الثالث

الندامة

الندم: هو حالة انفعالية تنشأ عن شعور الانسان بالذنب والاسف على ارتكاب ذلك الذنب ولومه نفسه على ما فعل وتمنيه لو انه لم يفعل ذلك^(٦)، فيندم أهل النار ندامة ما بعدها ندامة بسبب اتباعهم الغاوين من الانس والجن. حيث يحس الكافر بالعذاب الداخلي من خلال عدم الطاعة لربه وعدم الايمان به، ولرؤيته أهل الايمان يدخلون الجنة فيزدادون ندامة على التفريط، ونلاحظ ذلك من خلال الآيات قال تعالى: ﴿زَيْمًا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٧)، أي: يود الكفار في

(١) ينظر جمهرة اللغة، ابن دريد الازدي ١٠١٨/٢، التعاريف للجرجاني ١/٢١٤.

(٢) مختار الصحاح، للرازي ١/٣٣٢.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٤) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي، ١٣٤/٢، مشاهد القيامة في القراء سيد قطب ٢٣٧.

(٥) نفس المصدر ٥٥.

(٦) ينظر: الانفعالات النفسية في القرآن الكريم ص ٨٤.

(٧) سورة الحجر الآية ٢.



أوقات كثيرة لو كانوا مسلمين، وقال بعضهم في أوقات قليلة لشغلهم بالعذاب^(١)، وهذا التمني لا ينفعهم بل يزدادون ندماً في العاقبة^(٢)، أي: لا نتيجة في هذا التمني مرجوة، وهذا الندم يعطي بعداً نفسياً وألماً قاسياً، كلما رأى أهل الايمان يتقبلون في نعيمهم وسرورهم.

المطلب الثاني

العض على الأيدي

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾^(٣)، أي الظالم لنفسه المشرك بربه يعض على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، أي: طريقاً للنجاة من عذاب الله، وعض اليد من الغيض عادة حينها يتعرض الانسان لموقف يصعب التصرف فيه فيعض على أنامله عضاً يناسب الموقف والحدث ولعظم الموقف والحدث عض على يديه معاً، لأنه في موقف حسرة وندم على الفرصة التي فاتت ولن تعود ولذلك يعذب نفسه قبل أن يأتيه العذاب، ونلاحظ أن الندم يظهر أثره بعد وجوده في القلب وفي اليد وذلك بعضها أو الضرب بها على أختها، كما في قوله تعالى في النادم صاحب الجنة ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيَ أَحَدًا ﴾^(٤) والندامة بهذه الصورة عذاب نفسي يستمر باستمرار ذلك الندم.

(١) الحججة في القاءات السبع، لابن خالويه ١/٢٠٤، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٠/١/٢٠٤.

(٢) ينظر الكشف للزمخشري ٢/٥٧٠.

(٣) سورة الفرقان، آية ٢٧.

(٤) سورة الكهف، آية ٤٢.



الفصل الثاني

المبحث الاول : بشاعة العذاب

نلاحظ بشاعة العذاب من خلال تنوعه على الكافرين في عملية التنفس الشاقة في شهيقهم وزفيرهم وهم في النار، وبشاعته من خلال تنوع العذاب الجسدي وخلودهم في النار وما يولده من عذاب نفسي.

المطلب الأول : الزفير والشهيق

عملية تنفس تجري من إدخال النفس أو الهواء وإخراجه مع إحداث صوت مسموع وملحوظ بإخراجه من خلالها، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَفُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ ﴾ (١٠٦) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد ندامة ونفساً عالية وبكاء لا ينقطع وحزنا لا يندفع، ويقول أيضاً: الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الخفيف. وقال الضحاك ومقاتل: الزفير أول نهيق الحمار والشهيق آخره إذا رده في جوفه، فالزفير خاص بالمخزون أو المعذب وكذلك الشهيق، كما يفعل الباكي الذي يصيح خلال بكائه^(٢)، المراد بهما الدلالة على شدة كربهم وعمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه.^(٣)

لنا ان تتخيل صورة النفس داخل النار وسط جوها الملتهب ، ان الانسان يتنفس ليستروح بالهواء، فكيف يأخذه من النار ان في ذلك عذاب عظيم ونلاحظ العذاب النفسي من ضيق انفاسهم وخرج صدورهم وشدة كربهم وعمهم وتنوع اصواتهم

المطلب الثاني

نضج الجلود

إن للجلد وظائف منها استقبال المؤثرات المختلفة بين الانسان وبين المحيط به، ويؤدي وظائف أخرى منها حماية الانسجة الداخلية، وله اتصال مباشر بالجهاز العصبي والغدد التي تقوم بإفراز

(١) سورة هود، الآية ١٠٦ .

(٢) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٤٦٥ ، تفسير ابن عطية ٣/ ٢٠٧ ، الموسوعة القرآنية ١٠/ ١١٣ .

(٣) تفسير البيضاوي ٣/ ١٤٩ .



المواد الحيوية في الجسم والدورة الدموية،^(١) يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِيَتْنَا سَوَفَ نُصَلِّهِمْ نَارًا كَمَا نَصِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢)، قال الحسن: (تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة)^(٣)، وقيل: كلما انشوت جلودهم فاحترقت بدلوا جلوداً بيضاء أمثال القراطيس ليدوم العذاب ولا ينقطع، فالألم واقع على النفوس، لأنها هي التي تحس وتعرف، فتبديل الجلود زيادة في عذاب النفوس، يدل عليه قوله تعالى: (ليذوقوا العذاب)^(٤)، فالمتصور تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح،^(٥) ففي قول الله تعالى ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾^(٦) أَلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ^(٧) أي: التي يصل لهيها إلى الفؤاد، فهذا يشرك العذاب الجسدي والعذاب النفسي، بحيث يصل الحرق صدورهم ثم تبلغ قلوبهم.

المطلب الثالث

نزاعة للشوى

النزع: هو قاع الشيء، والنزعة: الموضع من رأس الانزاع وهو الذي انحسر شعره عن جانبي جبهته،^(٨) والشوى: جمع شواة، وهي جلدة الرأس، وقيل الشوى: الأطراف (اليدان والرجلان) والرأس من الآدميين وكل ما ليس بمقتل^(٩) ويكون العذاب النفسي أيضاً من خلال الأطراف وفروة الرأس، قال تعالى وهو يوصف النار وما تفعل ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْتَ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾^(١٠) تدعوأمن أدبروتوتلى^(١١)، وهي تفييد النفي المصحوب بالروع والزجر،^(١٢) إنها النار الموعود بها المجرم،

(١) ينظر: الاشارات النفسية في القرآن الكريم، د. لطفني الشربيني ص ١٩٧ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٦ .

(٣) الكشاف للزمخشري، ١/ ٥٢٢ .

(٤) ينظر: جامع البيان للطبري ٨/ ٤٨٤ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ٢٥٤ .

(٦) سورة الهمزة الآية ٦-٧ .

(٧) ينظر: الصحاح، للجوهري ٣/ ١٢٨٩، معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/ ٤١٥ .

(٨) ينظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٣/ ٢٤٤ ولسان العرب لابن منظور ١٤/ ٤٤٧ .

(٩) سورة المعارج، الآيات ١٥-١٧ .

(١٠) ينظر: الصحاحي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامهم ابن فارس ١١٨ .



ولقد استعمل التعبير القرآني لفظ (لظى) هنا للتأكيد على شدة احراق النار،^(١) فهي تنزع جلود الرأس وتتشرب مما عنه، ولأنهم كانوا بالأطراف يؤذون غيرهم،^(٢) ولم يكن للعقل استغلال أمثل، ويجاولون الافتداء بتقديم زوجته وولده وعشيرته، لكن النار تلتظى وتتحرق لتنزع الجلود عن الوجه والرؤوس نزعاً تنتظر حتى يلقي إليها وقودها، بل تدعوهم إليها فلا يملكون الفرار، فيا لها من دعوة مفزعة لا يملك المدعو إلا أن يستجيب لها مقهوراً، فهو يعيش في عذاب جسدي ونفسي وقعه شديد،^(٣) لأن لا خلاص منه ولا خروج من هذا العذاب المهين. وبعد البقاء في النار أي الخلود فيها من انواع العذاب النفسي فهو مجبور مقسور في مكان لا يخرج منه فإنه يعيش أماً نفسياً أماً لا يكاد يصفه إلا من عاشه.

المبحث الثاني طعامها وشرابها

المطلب الاول : طعام أهل النار

صور القرءان الكريم صنف جديد من صنوف عذاب المجرمين النفسي المتولد من عذابهم الجسدي وهو طعام أهل النار، ومن أنواعه:

١- الضريع قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ﴾^(٤) فقد سماه بالضريع، ووصفه بأنه لا يسمن ولا يشبع، قال ابن عباس رضي الله عنه: (شوك يكون في البادية)^(٥)، وقال آخرون: شجرٌ من نار،^(٦) المراد هنا السخرية بالمجرمين لأنه لا يغنيهم من الجوع ولا يسمنهم.

٢- الزقوم: وهو الزقم: الفعل من أكل الزقوم، والازدقاع الابتلاع، وهو كل طعام ثقيل يُكره

(١) ينظر: كتاب العين، لخليل بن احمد الفراهيدي ١٦٩/٨، لسان العرب لابن منظور ٤٠٣٩/٥، المعجم الوسيط قالين ابراهيم مصطفى.

(٢) ينظر: روح البيان، لإسماعيل حقي ١٠/١٦١، تفسير القاسمي ٣١٨/٩.

(٣) ينظر: مشاهد يوم القيامة سيد قطب ص ٢١٨-٢١٩.

(٤) سورة الغاشية الآية ٦.

(٥) اللغات في القرآن ابو احمد السامري، ص ٤٥.

(٦) ينظر: جامع البيان، الطبري ٣٠/١٦٢.



الكفار على استساغته،^(١) قال تعالى ﴿أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾ ^(١٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ^(١٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ^(١٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئَوسُ الشَّيَاطِينِ ^(١٥) فَإِنَّهُمْ لَكَاؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ^(١٦) ^(٢)، فطعام المجرمين عبر عنه بشجرة الزقوم، لانهم لم يعرفوا شجرة بعينها في بيئتهم تسمى الزقوم، ولكن في أذهانهم صورة لها،^(٣) وهناك تفسير آخر بأن الله أراد أن يصور بشاعة شجرة الزقوم فشبه طلعها برؤوس الشياطين، لأن الناس رسموا في أذهانهم صورة منكره لها قيل (الشجرة الملعونة^(٤)): هي الزقوم تنبت في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أي وما جعلناها إلا فتنة إذ أنكروا ذلك وقالوا: محمد يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً كابدوا قضية عقولهم) فإن من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها كالسمند،^(٥) فهو أقدر على خلق الشجر في النار، وقد قال ابن سلام إنها تحيا باللهب كما تحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مرله زفره.

المطلب الثاني : شراب أهل النار

يذكر لنا القرآن صفة الماء الذي يسقونه، فإنه حميم يقطع الامعاء، ثم يذكر لنا تعذيبهم بالعطش واغاثتهم من عطشهم الذي لا يمكن تصوره بقاء يوصف من شدة حرارته الا بقوله تعالى ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ^(١٩) ^(٦)، ثم يسقون من ماء صديد لا يستساغ ولا يطاق. غنها مشاهد تذهل العقول وتهلك وتحيرها، ومن أنواعه:

الحميم: وهو الماء المغلي الذي تناهى حره^(٧)، قال تعالى ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ^(٤٢)

(١) التعابير القرآنية والبيئة العربية، ابتسام مرهون الصفار، ٢٥٠ .

(٢) سورة الصافات الآيات ٦٢-٦٦ .

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والاثرا لابن الاثير ١/١٢٨، ولسان العرب ١٥/١٦١ .

(٤) تنوير الاذهان من تفسير روح البيان للصابوني، ٢/٣٥٣ .

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للازهري باب السين واللام ١٣/١١٠، والمعجم الوسيط ١/٤٥٢ طائر اذا انقطع نسله وهرم القى نفسه الجمر فيعود إلى شبابه وقالوا لا يحترق بالنار .

(٦) سورة الكهف، الآية ٢٩ .

(٧) ينظر: الصحاح، للجواهرى ٦/٢٢٧٣ لسان العرب لابن منظور ٢/١٥٣ .

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿١﴾ يذكر حالهم وهم يطوفون في جهنم بين الحميم والماء الحار الذي بلغ أقصى درجات الحرارة، وفي سورة الواقعة نجد وصفاً دقيقاً لهذا الشراب المؤذي الذي يلجأ إليه المجرمون بعد أن يحرق الزقوم بطونهم، فيشربون من الحميم فلا يرتوون.

وكذلك تصور آية اخرى الشراب بأنه يقطع الأمعاء لشدة حرارته قال تعالى ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (٢)، فقد فسره بعض العلماء بالماء الحار المغلي الذي تنهى حره وبلغ أقصى الدرجات، (٣) وقال آخرون: (إن الحميم دموع أعين المجرمين في النار، تتجمع في خنادق فيسقونه) (٤)، (وكلا التفسيرين يعطي معنى واحد، هو ان ما يبقى منه المجرمون شراب شديد الحرارة، سواء كان مغلياً أو كان دموع المجرمين الحارة) (٥)، نجد تصويراً معجزاً لموقف رهيب لشدة حرارة الحميم، فهو إذا صب على رؤوسهم صهر جلودهم وبطونهم، ومع ذلك يعادون إلى خلقتهم الاولى، ليعاد عذابهم جسدياً ونفسياً.

الصديد: نوع من شراب المجرمين من أهل النار كما ذكره القرآن الكريم وهو شراب لا يستطيع أحد أن يتجرعه ولا يتمكن من أن يستسيغه على رغم من شدة العطش الذي هم فيه ويترتب على هذه الحالة فضلاً عن العذاب الجسدي أقصى غاية العذاب النفسي، قال تعالى ﴿ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (٦) وقد فسر الصديد بأنه ما يخرج من أجساد المعذبين في النار من قيح ودم، (٧) وفي اللغة ورد المعنى نفسه، (٨) وهذا

(١) الرحمن الآية ٤١، ٤٢ .

(٢) سورة محمد، الآية ١٥ .

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري، ١٧/١٣٣، الكشاف، للزمخشري ١/٥١١ .

(٤) جامع البيان ٣٠/١٣ .

(٥) سورة ابراهيم الآيات ١٥-١٧ .

(٦) سورة إبراهيم، آية ١٥-١٧ .

(٧) ينظر: مجاز القرآن، لابي عبيده، ١/٣٣٨، جامع البيان للطبري ١٣/١٩٥، الكشاف للزمخشري ٤/١٧٢ النهاية في غريب الحديث والاثر، لابن الاثير ٢/٢٥٤ .

(٨) ينظر جمهرة اللغة، ابو بكر الازدي ٣/١٩٠، الصحاح للجوهري ١/٣٩٣ معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٢٨٢ .



يعطي إحياءً رهيباً، فضلاً على إحياء العطش والحرقان من الماء، لأنه يوحى بالأذى والألم الشديد فهو يخرج من أجساد المعذبين وحروقهم في النار ومع ذلك لا يجدون شراباً يره فيضطرون إلى شربه وتجرحه ولكنهم لا يستطيعون احتماله لأنه لا يشفي غليلهم أولاً ولأنه يثير التقزز في النفوس ثانياً، فكل ما تقدم من الأذى الشديد والعذاب الأليم بسبب شربهم الصديد يشكل الصورة الكاملة المزوجة للعذاب الجسدي والنفسي ففي التنوع العذاب عذاب نفسي لا على ذي لب، فهذا التنوع يزيد في الألم ويقوي الحزن والغم وتتصاعد معه الحشرات والزفارات والندامة.

المهل: ومن الشراب الذي يعذب به أهل النار هو الماء الذي كالمهل قال تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (١)، أي: وإن استغاثوا من شدة العطش فطلبوا الماء أغيثوا بماء شديد الحرارة وهو النحاس المذاب أو دردري الزيت المحمي يشوي وجوههم إذا قرب منهم من شدة حره، فعطش أهل النار شديد، يجعلهم يشربون من الماء المغلي فلا يرتوون بل يزداد عطشهم وألمهم، فصورة العذاب النفسي واضحة في عملية عدم الارتواء وتكرار هذه العملية في الشرب تزيدهم ألماً إلى ألمهم.

* المبحث الثالث: ملابس أهل النار

من صور العذاب النفسي والجسدي الذي يخوضه أهل النار ملابسهم التي فصلت عليهم، وقطعت من النار ومنها السراويل.

* المطلب الأول: قطعت لهم ثياب من نار

يقول تعالى ﴿ فَأَلْبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُطْعَةً لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهِرُ بِهِمْ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْتَعُونَ مِنْ حديدٍ ﴿٢١﴾، هذه ثياب قطعت وفصلت على مقادير جثثهم، تشتعل عليهم وتحيط بهم كما تقطع الثياب الملبوسة، (٢) وشبهت بالثياب لإحاطتها وشمولها أجزاء الجسم، إن الثياب وظيفتها أن تحمي الجسد من الحر وشدة البرد، وتحمي أيضاً وتستر العورة،

(١) سورة الكهف، الآية ٢٩.

(٢) سورة الحج الآيات ١٩-٢١.

(٣) ينظر: الكشاف، للزمخشري، ٣/ ١٥٠، التفسير الكبير، للرازي ٢٣/ ٢١٤.



أما أن تكون هذه الثياب هي محل العذاب! حقا هي صورة رهيبة لكل جوانب العذاب الجسدي والنفسي حين تجتمع مع لظى النيران، وقد فصلت الثياب على قدر اجسادهم والقيود والأغلال والسلاسل والأصفاد التي تشل وتقيد حركتهم، فلا يستطيعون التخلص منها ولا الهرب من النار لأنهم كتب عليهم العذاب السرمدي الباقي الدائم.

* المطلب الثاني: سرايلهم من قطران

ومن ملابس أهل النار التي يعذبون بها جسديا ونفسيا هي السرايل: وهي الثياب وسربلته: أي البسته السرايل ويطلق على ما يحصن في الحرب من الدرع وشبهه^(١)، والسرايل كل ما لبس، أو كل ما يلي الجسد وهي أعم من القميص^(٢)، فهي تغطي وتجلل أكثر الجسد قال تعالى ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾^(٣) سَرَايِلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ وَتَعَثَّىٰ وُجُوهُهُمْ النَّارُ ﴿٤﴾^(٤)، في هذه الآية نلاحظ وصف ملابس أهل النار، وملابسهم تشكل صوراً رهيبية تزيد ملامح العذاب النفسي فضلاً عن العذاب الجسدي هولاً ورعباً.

فالسرايل جمع سربال وهو القميص كما ورد في التفسير^(٥) وكذلك قال اللغويون. أما القطران ففيه ثلاثة لغات قَطْرَان، قِطْرَان، قِطْرَان^(٦)، واختلف المفسرون في تفسيره، فقال بعضهم: إنه الهناء الذي تنهأ به الإبل الجربى^(٧)، وقال آخرون: بل هو الصفر المذاب. وقال ابن عباس: هو النحاس المذاب^(٨). (وجعل القطران لهم لباس يزيد في حر النار عليهم)^(٩)، (فالأصفاد وهي الأغلال

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ١٣٢/٧.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي ١٢/٧٦١٦، صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢١/٩٢، التفسير الحديث دروزه محمد ٥/٢٤٨.

(٣) سورة ابراهيم، الآيات ٤٩-٥٠.

(٤) ينظر: مجاز القرآن، لابي عبيده ١/٣٤٥، غريب القرآن لسجستاني ١/٢٦٣.

(٥) ينظر: الصحاح للجوهري ٥/١٧٢٩، لسان العرب، لابن منظور ٦/٣٥٦. جامع البيان للطبري ١٣/٢٥٥، الكشاف للزحشري ٢/١٨٥.

(٦) جامع البيان للطبري ١٣/٢٥٥، التبيان في تفسير القرآن للطوسي ٦/٣٢٠.

(٧) نفس المصدر ١٧/٥٥ وتفسير عبد الرزاق ٢/٢٥٠.

(٨) غريب القرآن لابي عبيده ١/٢٧٥.



تجمعهم والسلاسل تقيدهم، والقطران سراويلهم والحميم شرابهم والنار محيطتهم، وذلك جزاء من خالف إلهه^(١)، والانسان إذا ما تعرض لأمر يصيبه بالعطب أو التشويه، فأول ما يحاول الحفاظ عليه هو وجهه ذلك أن الوجه هو أشرف شيء في الانسان فما بالناحين تغشى وجوه الكفرة النار إن مجرد تخيل ذلك الأمر مؤلم، فلاحظ هذا العذاب الذي لا تطيقه الجبال الراسيات كيف يذيق الله المجرمين عذاباً جسدياً من خلال ملابس النار على أجسادهم ويذيقهم عذاباً نفسياً من خلال شدة الكرب والغم الذي يلحقهم بحيث لا يهنؤون بطعام ولا بشراب، لقد ذاق أهل النار أنواع العذاب النفسي حتى إنهم لا ينامون ولا يهدأ لهم بال ومع ذلك فهم يحاولون دفع العذاب بوجههم منفرط شدة العذاب وهو مؤلم أشد الألم. أفلا نرى هذا العذاب النفسي الأليم مثلاً ينذر به كل من عبد غير الله أو حاد عن الطريق المستقيم ليرتدع عن غيه وكفره بالله.

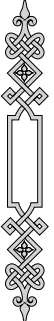


(١) لطائف الاشارات للقشيري ٢/ ٢٦١.



الخاتمة

بعد متابعة بعض آيات العذاب القرآن الكريم وتنوع العذاب وصوره والعيش مع تلك الصور وأثرها النفسي يتوصل الانسان إلى أن مجرد التفكير فيها له أثره على نفسية الباحث، فتوصلت إلى نتائج قد أدركتها عملياً لأن العلماء تطرقوا لها، وهي أن هذا القرآن المعجز بأسلوبه وبيانه وما فيه من كنوز بلاغية ودرر نظيمة فهو تطرق إلى العذاب النفسي الحاصل لأهل النار، وهو لا يقل تأثيراً عن العذاب الجسدي، وإن هذا العذاب أنواع يختلف بعضه عن بعض في الوقع والشدة على نفوس الكافرين، وإن ذلك العذاب النفسي يولد ويتبع عن العذاب الجسدي وتنوعه، وإن اسلوب القرآن يتناسب مع طبيعة المخاطبين حيث يصف العذاب للعرب وهم أهل البلاغة، فكان تأثيره مباشر على نفوس سامعيه، وإن الترهيب من العذاب له دور بارز في ابتعاد النفس وردها عن المعاصي.





المصادر والمراجع

- ١ . القرآن الكريم
- ٢ . الإشارات النفسية في القرآن الكريم، د. لطفي الشربيني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٣ . الانفعالات النفسية في القرآن الكريم، اسماعيل خليل ابراهيم اللبؤ، دار النهج، سوريا، حلب، ط١، ٢٠١١م.
- ٤ . انوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الين عمر البيضاءوي، (ت ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٥ . التبيان في تفسير غريب القرآن، أمد بن محمد بن عماد الدين بن علي ابو العباس شهاب الدين ابن الهائم (ت ٨١٥هـ) تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٦ . تحفة الأقران في ما قرء بالتثليث من حروف القرآن، أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي أبو جعفر الاندلسي (ت ٧٧٩هـ) كنوز اشبيلية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ٧ . التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- ٨ . التعبيرات القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الآداب، النجف، ط١، ١٩٦٧م.
- ٩ . التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٨٣هـ.
- ١٠ . تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) ، مطابع أخبار اليوم.
- ١١ . التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفجر الدين الرازي الخطيب الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.



١٢. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان اختصار وتحقيق: الشيخ محمد بن علي الصابوني، ط ١، الدار الوطنية للنشر والطباعة والاعلان، بغداد، ١٩٩٠م.
١٣. الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
١٤. الحجية في القراءات السبع، الحسين بن احمد بن خالويه ابو عبدالله (ت ٣٧٠هـ) تحقيق عبد العال سالم دار الشروق- بيروت ط ٤ ١٤٠١هـ.
١٥. روح البيان، اسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوني (ت ١١٢٧هـ) دار الفكر، بيروت .
١٦. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار الكتب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
١٧. صفوة التفاسير محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٨. الفواتح الالهية والمفتاح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني ويعرف بالشيخ علوان (ت ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر، الغوري، مصر، ط ١، ١٩٩٩م.
١٩. في ضلال القرآن، سيد قطب ابراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
٢٠. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين شريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣م.
٢١. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ابو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جارالله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتب العربية، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
٢٢. الكشف والبيان عن تفسير القرآن احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي ابو اسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الامام ابي محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٢م.



٢٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفع الافريقي (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٢٤. لطائف الاشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: ابراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، ط ٣.
٢٥. مجاز القرآن، أبو عبيده معمر بن مثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الشاطبي، القاهرة، ط ١٣٨١هـ.
٢٦. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، دار النموذجية، بيروت، صيدا، ط ١٩٩٩، م ٥.
٢٧. مشاهد القيامة في القرآن الكريم، سيد قطب، انوار دجلة، بغداد، ط ١.
٢٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، البغوي الشافعي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٣٠. اللغات في القرآن الكريم، عبدالله بن الحسين بن حسون ابو احمد السامري (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة، القاهرة، ط ١، ١٩٤٦م.
٣١. معجم التعبيرات القرآنية، محمد عتريس، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
٣٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (ابراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، دار الدعوة .
٣٣. مقاييس اللغة، ابو الحسن احمد فارس بن زكريا تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١، ١٩٧٩م .
٣٤. الموسوعة القرآنية، ابراهيم بن اسماعيل الابياري (ت ١٤١٤هـ) مؤسسة سجل العرب، ط ١، ١٤٠٥هـ.



٣٥. النهاية في غريب الحديث والاثر، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر احمد الزاوي-محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩ م.
٣٦. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي ابو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، ط ١، ٢٠٠١ م.
٣٧. غريب القرآن، ابو بكر محمد بن عبد العزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ)، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، ١٩٩٥ م.
٣٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٣٩. معاني القرآن وإعرابه، ابراهيم بن السري بن سهل ابو اسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.

